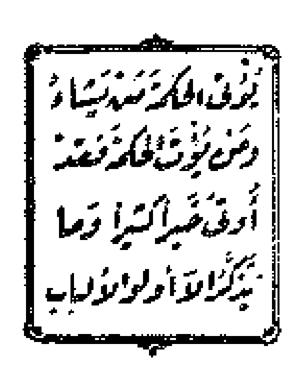



قال عليه الصلاة والسلام　ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

(٢٩ المحرم سنة ١٣٤٩ هـ ٦ برج السرطان سنة ١٣٠٩ هـ ش ٢٦ مايو سنة ١٩٣٠)

فاتحة المجلد الحادي والثلاثين

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٣٩ : ٤٦)

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ، وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٧ : ٩٥) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨ : ٧٠)

لبيك اللهم ولك الحمد كما تحب وترضى ، وصلواتك الطيبات ، وتحياتك المباركات الزاكيات ، وصلاة ملائكتك المقربين ، وعبادك المؤمنين ، على رسولك محمد خاتم النبيين ، الذي أرسلته رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ، أولي قرابته وقربه ، وعلى التابعين لهم في طاعته وحبه ، واتباع سنته في بيان كتاب ربه ، على مانقلوه لنا عنه من قول وعمل ، وفضيلة وأدب ، وتشريع وحكم

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن الحكيم

(تقريظ العالم العامل، والقاضي الفاضل، خادم السنة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر)

القرآن كتاب الله الى خلقه يرسم لهم فيه طريق الهدى والسعادة . او هو كما وصفه به سبحانه وتعالى (بلاغ للناس ولينذروا به) ونعم البلاغ

نزل هذا الكتاب المقدس في أمة كانت تتقاذفها الاهواء والعصبية . وتعمها الجهالة العمياء . فما أسرع ماوضعهم على المحجة الواضحة والطريق السوي، فصاروا أمة على قلب رجل واحد ، كلمتهم واحدة ، وهم يد على من سواهم . وبعد أن كانوا مستضعفين يخافون جيرانهم من الفرس والروم وغيرهم ، ولايحميهم منهم إلا بيداؤهم المحرقة - : غزوا أعداءهم وفتحوا بلادهم واستنزلوهم عن ملكهم ، فصاروا سادة الارض ، كل هذا في بضع عشرات من السنين ، وكل هذا بهداية الله لهم أن تبعوا أوامره واستمعوا لكلامه .

ثم هذا القرآن أعلى أنواع التشريع في الارض ، وأرقى ضروب الحكمة ، فلما اهتدوا به، ومرنت نفوسهم وعقولهم على حكمته، كانوا سادة بعقولهم وقلوبهم، قبل أن يكونوا سادة بقوتهم وأنفتهم وجمع كلمتهم .

وهو الذي قرر حقوق الانسان في الارض ، من عدل وحرية ومساواة بين الناس ، لافضل لاحد على أحد إلا باتباعه في خاصة نفسه وفي معاملاته مع غيره وفي كل حالاته .

ثم مرت عصور وأزمان . واذا المسلمون متفرقون ، واذا هم مستعبدون ، واذا لهم قوانين وتشريع أخذوه عن أعدائهم السابقين ، واذا هم لايخجلون أن يقلدوا من كانوا في الحضيض إذ هم في الذروة ، واذا هم يهجرون القرآن

ولقد صدق الله سبحانه حين أخبرنا تحذيراً لنا من أن نعرض عن كتابه - بأن الرسول الاعظم سيد الخلق عليه السلام سيشكونا إلى ربه (وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) .

تالله لو أن المسلمين رجعوا إلى هداية ربهم وعملوا بكتابه وسنة نبيه ﷺ - إذ أمره ربه بتبيين الكتاب لهم - لما كانوا على ماترى من ضعف واستكانة وذلة ، ولما امتلأت قلوبهم رهبة لأعدائهم ، ونفوسهم حاجة اليهم

أخذ الصدر الاول والسلف الصالح رضي الله عنهم يتعلمون القرآن ويعلمونه للناس ، ويرجعون اليه فيما يعرض لهم من شؤون وحوادث ، لايرضون حكما في دينهم ودنياهم الا مادل عليه القرآن او جاء عن السنة المطهرة المفسرة له ، نزولا على حكم الله ، فكان علماؤهم جميعا عن هـذا الصدر الواضح النقي يصدرون ، وكانوا كلهم بهذا مجتهدين .

ثم ضعفت النفوس والهمم ،فظن بعضهم - عفا الله عنهم - أنهم يعجزون عن أخذ الاحكام من مصدرها الاول ومن منبعها الصحيح ، فصار بعض العلماء يقلد من سبقه من أئمة الهدى وأعلام الاسلام ، عن غير أمر منهم أو مشورة ، بل مع نهيهم رضي الله عنهم عن التقليد .

فكان هذا بدء الضعف . ثم توالت العصور فاذا المقلد مقلد ، واذا الامر فوضى ، واذا هم فرق وشيع ، وبلغ بهم الامر الى التناحر بالسيوف نصراً لعصبية المذاهب .

وأمامك تاريخ المسلمين ، فسترى فيه توالي الارزاء والمحن ، فكلما بعدوا عن كتاب ربهم أبعد الله عنهم العز والنصر ، وهكذا كان ميزان رقيهم وانحطاطهم

ولما ضعفت السليقة العربيـة في المتكلمين بهذه اللغة أنشأ علماء الاسلام يفسرون لهم كتاب الله ،وكل على قدر همته ، فكثرت أنواع التفاسير للسلف والخلف ، متقدمين ومتأخرين ، وتراجم العلماء والائمة بين أيدينا -أو أكثرها وقد يندر جداً أن نجد منهم من لم يؤلف كتابا في التفسير ، فلم تعن أمة بكتابها من الوجهة العلمية بمثل ماعنيت الامة الاسلامية بالقرآن ، ولم تفرط أمة في حفظ

ما كتب شرحا لكتابها بمثل مافرطنا . فأين هذه التفاسير الجليلة للأئمة المتقدمين؟ ذهب أكثرها حتى لم نجد تفسيراً لرجل من الأئمة المجتهدين إلا تفسير ابي جعفر الطبري المتوفى سنة ٣١٠، وما بقي بعده فهو لمؤلفين ممن سموا أنفسهم مقلدين.

واقد كان المتقدمون يعنون في أكثر أمرهم بتفسير القرآن بما ورد من أحاديث مرفوعة، وآثار موقوفة، وباستنباط أحكام الفقه منه ، تعليما للناس كيف يفهمون وكيف يصلون الى الاجتهاد.

ثم ترك المتأخرون ذلك ولم يكن همهم الا الاطالة في أبحاث لفظية لاجدوى لها ولا فائدة الا في النادر والشذوذ.

حتى ان كتب التفسير التي بقيت مشتهرة فيهم وكثيرة بين أيديهم لا يطمئن الباحث المحقق الى فهم معنى آية منها ، ولا الى استنباط حكم ، بل ولا الى الثقة بالنقل ، فقد ملأ بعضهم تفسيره بقصص مكذوبة مفتراة، وبأحاديث موضوعة، من غير تحر في الرواية ، ولا استعمال لموهبة العقل السليم.

وبالله . لقد أدركنا الازهر - وهو المدرسة الاسلامية الفذة في هذا البلد - يجهل التفسير علما لا يؤبه له ، وآية ذلك أنهم كانوا يجيزون الطالب بشهادة (العالمية) وان كان لايفقه في التفسير شيئا ، ماعرف كيف ينبغ في المماحكات اللفظية

ولقد قيض الله للاسلام إماما من أئمته ، وعلما من أعلام الهدى ، وهو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله ، فأرشد الامة الاسلامية الى الاستمساك بهدى كتابها ، ودلها على الطريق القويم في فهمه وتفسيره ، وكان مناراً يهتدى به في هذه السبيل ، وألقى في الازهر دروسا عالية في التفسير ، وكان - فيما أظن - يرمي بذلك الى أن يسترشد علماء الازهر بذلك ، فينهجوا نهجه ، ويسيروا على رسمه ، ولكنهم لم يأبهوا له إلا قليلا ، ولم ينتفع بما سمع منه الا أفراد أفذاذ ، وبقي دهماؤهم على ما كانوا عليه.

ونبغ من تلاميذه والمستفيدين منه ابنه وخريجه أستاذنا العلامة الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » فلخص للناس دروس الاستاذ الامام، وزادها وضوحا وبيانا ، ونشرها في مجلته الزاهرة المنيرة ، وجمعها في أجزاء على أجزاء

القرآن الكريم ، ومضى لطيته بعد انتقال الامام الى جوار ربه ، فكأنه ألهم من روحه ، لم يكل ولم يضعف ، وهاهو الآن قد أتم منه أجزاء تسعة، وكثيراً من العاشر

فكان تفسير أستاذنا الجليل خير تفسير طبع على الاطلاق ، ولا أستثني ، فانه هو التفسير الاوحد الذي يبين للناس أوجه الاهتداء بهدى القرآن على النحو الصحيح الواضح - اذ هو كتاب هداية عامة للبشر - لا يترك شيئا من الدقائق التي تخفى على كثير من العلماء والمفسرين .

ثم هو يظهر الناس على الاحكام التي تؤخذ من الكتاب والسنة ، غير مقلد ولا متعصب ، بل على سنن العلماء السابقين : كتاب الله وسنة رسوله . ولقد أوتي الاستاذ من الاطلاع على السنة ومعرفة عللها وتمييز الصحيح من الضعيف منها : — ماجعله حجة وثقة في هذا المقام ، وأرشده الى فهم القرآن حق فهمه.

ثم لاتجد مسألة من المسائل العمرانية او الآيات الكونية الا وأبان حكمة الله فيها ،وأرشد الى الموعظة بها . وكبت الملحدين والمعترضين بأسرارها . وأعلن حجة الله على الناس .

فهو يسهب في إزالة كل شبهة تعرض للباحث من أبناء هذا العصر ، ممن اطلعوا على أقوال الماديين وطعونهم في الاديان السماوية ، ويدفع عن الدين مايعرض لاذهانهم الغافلة عنه ، ويظهرهم على حقائقه الناصعة البيضاء ، مع البلاغة العالية ، والقوة النادرة . لله دره !

وأما الرد على النصارى واليهود فانه قد بلغ فيه الغاية ، وكأنه لم يترك بعده قولا لقائل ، وذلك لسعة اطلاعه على أقوالهم وكتبهم ومفترياتهم . وهذا قيام بواجب قصر فيه أكثر المسلمين، في الوقت الذي تقوم فيه أوربة بحرب المسلمين حربا صليبية — قولا وعملا — وتحاول سلخ المسلمين عن دينهم وإن لم يدخلوا في دينها ، وها نحن أولاء نرى الجرأة العظمى بمحاولة تنصير أمة اسلامية قديمة متعصبة للاسلام ، وهي أمة البربر المجيدة . وان قيام أستاذنا بالرد عليهم بهذه الهمة من أجلّ الاعمال عند الله ثم عند المسلمين

ولقد عرض لكثير من المشكلات الاجتماعية والسياسية التي عرضت في

شؤون المسلمين فأفسدت على كثير من شبابهم هداهم ودينهم ، فحللها تحليلا دقيقا وأظهر الداء ووصف الدواء من القرآن والسنة ، وأقام الحجة القاطعة على أن الاسلام دين الفطرة، وأنه دين كل أمة في كل عصر . ونفى عن الاسلام كثيرا مما ألصقه به الجاهلون، أو دسه المنافقون، من خرافات وأكاذيب كانت تصد فئة من أبنائه عن سبيله . وكان أعداؤه يجعلونها مثالب يلعبون بسببها بعقول الناشئة ليضموهم الى صفوفهم، وينزعوهم من أحضان أمتهم .

وإنه لكتاب العصر الحاضر، يفيد منه العالم والجاهل، والرجعي والمجدد . بل هو الدفاع الحقيقي عن الدين .

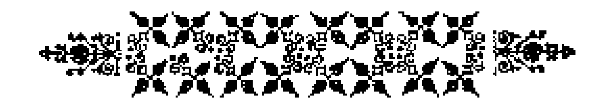
وأنا أرى من الواجب على كل من عرف حقائق هذا التفسير أن يحض اخوانه من الشبان على مطالعته ، والاستفادة منه، وبث ما فيه من علم نافع ، لعل الله أن يجعل منهم نواة صالحة لاعادة مجد الاسلام ، وأن ينير به قلوبا أظلمت من مائها بالجهالات المتكررة

ولو كانت حكومتنا حكومة إسلامية حقيقة لطلبنا منها أن يدرس في مدارسها ومعاهدها حق الدرس ، ولكننا نعلم أنها لاتأتي للدين بالا ، بل لا تدفع عنه من أراد به عدوانا ، والطامة الكبرى أنها تحمي من يعتدي عليه بقوانينها الوضعية،

فلم يبق للمسلمين رجاء إلا أن يعملوا أفراداً وجماعات في سبيل الدفاع عنه، وإظهار محاسنه للناشئة التي تكاد تند عنه ، وهم عماد الأمم .

ولعلي أوفق قريبا الى بيان بعض الابحاث الفذة النفيسة من هذا التفسير مما لم يشف فيها الصدر أحد من الكاتبين قبله، أولم يكن في عصورهم ما يثير البحث فيها ، وذلك بحول الله وقوته .

أحمد محمد شاكر
القاضي الشرعي



آفة الشرق أمراؤه المستبدون
وزعماؤه المترفون
ومرشدوه الجاهلون

(خاتمة المقصد الثاني من الباب الخامس من تاريخ الاستاذ الامام)

نختم الكلام في خدمة الامامين الحكيمين للاسلام والشرق فيما فاضت به حكمة الاول على بلاغة الثاني في جريدة العروة الوثقى بهذه الحقيقة التي وضعنا لها هذا العنوان، فلقد كان الناس غافلين عنها فبيناها لهم أبلغ البيان، وشر مفاسد هؤلاء الامراء والزعماء في هذا العصر غرورهم بالاجانب الطامعين في بلادهم، ولو عقلوها لتمكنت حقيقتها من عقولهم ، ولو فقهوها لرسخت عبرتها في قلوبهم ، ولما تكررت في مشرق العالم الاسلامي ومغربه تلك الرزايا التي انتزعت ممالكهم من أيديهم ، ومن العجائب انها لاتزال تتجدد ، ولا يزال مدعو الايمان يلدغون من الجحر الواحد مراراً كثيرة . وقد قال رسولهم فيما صح عنه « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » رواه البخاري ومسلم

فلا عجب إذاً فيما يصدر عن ملاحدة المسلمين الذين لاحظ لهم من حكمة الاسلام وهدايته الصادتين عن هذا الفساد، ورضاهم بأن يكونوا أعوانا للاجانب على استعمار البلاد ، وهذا ما لانزال نشاهده في كل عام (أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون)؟

طرقت العروة كل باب من أبواب هذا الموضوع ففتح لها ودخلت منه فلم تدع في زواياه خبيئة إلا واستخرجتها

أنشأت له مقالات خاصة ، وجعلته مضرب الامثال في المقالات العامة . وقد ورد فيما أثبتنا من الشواهد بعض هذه المثل والاشارة الى بعض تلك المقالات ، ونأتي في هذه الخاتمة بشواهد ومثل اخرى وهي